بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ولي القادر بالله الخلافةَ في فترة ساسية، تجلَّى فيها استئثار أُمراء بني بويه بالسلطة، وقد استطاع هذا الخليفة عقب توليه الحكم، أن يحدَّ من نفوذ هؤلاء الأمراء، وأن يُعيد للخلافة العباسيَّة قوتها ومكانتها وهيبتها، وأن يبقى في الحكم مدة طويلةً، فقد حكم ما يقرب من إحدى وأربعين سنة دون أن يخلع من الخلافة كغيره من الخلفاء العبَّاسيين السابقين، بل تُوفي متأثرًا بمرضه.

ومن خلال المصادر والمراجع والمخطوطات التاريخية لعصر هذا الخليفة العباسي وجدتُ مدى النفوذ الذي حققَّه لنفسه، حيث تمكَّن من الاحتفاظ بولاية العهد لابنه من بعده بعهدٍ منه، في حين أن الخلفاء السابقين كانوا يعيَّنون من قِبل أمراء بني بويه. كذلك احتفظ بحقِّه في تولية القضاة، وفي تعيينه أمراء الحج.كما احتفظ بسلطته الدينية.

اشتهر القادر بتعصبه لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة في حين كان العراق في عهده يموج بالشيعة والفِرَق الأخرى المخالفة لهذا المذهب؛ لذا كثرت حركات الطوائف الإسلامية في عهده؛ مثل: ثورات الشيعة وحركة المعتزلة، فأخذ الخليفة القادر بالله يتصدَّى بقوة لهذه الحركات الدينية ويُناصر أهل السُّنَّة والجماعة.

شعر الخليفة القادر بالله بالقلقِ الشديد، عندما انتشرت الدعوة الفاطمية في بلاده، فقد انتهز الفاطميون ضعف الخلفاء العباسيين الذي تجلى منذ بداية القرن الرابع الهجري؛ بسبب قوة نفوذ القواد الأتراك، واستقلال الأمراء بولاياتهم، واستبداد البويهيين بأمور الخلافة، فأخذوا يبعثون دُعَاتهم إلى بلاد الدولة العباسية؛ لنشر الدعوة لهم، وظهر هذا بوضوح في عهد سيطرة أمراء بني بويه على الخلافة

العباسية الذي بدأ منذ عام ٣٤٤هـ، إذ إن بني بويه من الشيعة كما كان الفاطميون.

كانت مسألة تحويل الخلافة من العباسيين إلى أحد العلويين من المسائل التي فكَّر بنو بويه بادئ ذي بدء فيها، بعد أن استأثروا بالسلطة في بغداد، لكن معز الدولة ما لبثَ أن عَدَلَ عن إخراج هذه الفكرة إلى حيِّز الوجود لما قد يتعرض له سلطانه من خطر؛ بسبب وجود خلافة علوية يطيعها الجند من الديلم ويكونون أداة في يد الخليفة يستغلها لمصلحته متى شاء.

وفضَّل أن يستبدَّ بالسلطة في ظلِّ خليفة عباسي ضعيف على أن يكون تابعًا لخليفة يعترف بإمامته. ومع ذلك ظلَّ أمراء بني بويه على اتصال بالفاطميين حتى أنهم سمحوا لدُعاتهم بنشر عقائد المذهب الفاطمي في البلاد التي خضعت لنفوذهم، لكنَّ الخليفة القادر بالله تصدَّى لدعوة الفاطميين في بلاده والبلاد التي تخضع لنفوذه، ولما كان الأساس القوي الذي قامت عليه الدولة الفاطمية هو انتسابها إلى علي بن أبي طالب؛ لذلك عمد الخليفة القادر بالله إلى الطعن في صحة نسب الفاطميين، لعله يصل من وراء ذلك إلى القضاء على نفوذهم في بلاده.

كما حرص الخليفة القادر بالله على توثيق صلته ببعض الدول المجاولة له؛ مثل: دولة السامانيين التي قدَّرت الخلافة العباسية لأمرائها إخلاصهم فجعلت بلاد ما وراء النهر إقليمًا منفصلًا عن خراسان، وأقرَّتهم عليه في بادئ الأمر.

وقد أَظْهر السامانيون ولاءهم للخلفاء العباسيين باعتبارهم رؤساء مذهبهم السُّنِّي، كما ارتبطت الخلافة العباسية مع دولة بني عقيل بصلات قوية بعد أن اعترفت بها عام ٣٨٦هـ، وظلَّ أمراء بني عقيل موالين للخلافة العباسيَّة إلى أن تمكن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي من استمالة الأمير العقيلي قرواش سنة

٤٠١هـ بالهدايا والرسل والمكاتبات، فأقام قرواش بن المقلد الخطبة للحاكم في ولاياته.

ولما بلغ القادر بالله العباسي خبر إقامة الخطبة للخليفة الحاكم بأمر الله، كتب إلى قرواش مُعاتبًا ما فعله. وفي الوقت ذاته طلب من بهاء الدولة محاربة قرواش، فسيَّر بهاء الدولة إليه عميد الجيوش بعد أن زوَّده بالمال، لكن قرواشًا عندما عَلِمَ بذلك ندم على ما كان منه وأمر بقطع الخطبة للحاكم من بلاده، وخطب للقادر على عادته.

وهنا نسأل أنفسهم: لماذا امتثل بهاء الدولة لأمر الخليفة القادر بالله بمحاربة أمير بني عقيل الذي أقام الخطبة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله مع أن بهاء الدولة يُدين بمذهب الشيعة؟ رأى هذا الأمير أن من مصلحته أن يحتفظ بنفوذه في بلاد العراق، ويقف في سبيل مَنْ يعمل على الحدِّ من هذا النفوذ.

كانت سيطرة الخليفة القادر بالله واضحة في معاملته الأمراء المجاورين له، فكان من نتائج محاربة الخليفة القادر بالله لقرواش وإجباره على إعادة الخطبة للخلافة العباسية بدولة بني عقيل تَبيَّن لي أن هذه العلاقة قامت على أساس تبادل المصالح بين الطرفين فتقام الخطبة للخليفة العباسي في دولة بني عقيل مقابل دفاع الخلافة العباسية عنها ضد أي عدوٍ يهددها.

قامت علاقة وثيقة بين الخلافة العباسية والدولة الغزنوية، وكان طابع هذه العلاقة الاحترام والولاء، فقد تعصَّب محمود الغزنوي لمذهب السُّنَّة، وامتثل لأمراء الخليفة القادر بالله في مناهضة المعتزلة والفلاسفة والروافض وجنَّد نفسه للفتوحات الإسلامية. فقام بفتوحات إسلامية رائعة في الهند، مما دفع الخليفة القادر

بالله أن يُنعم عليه الألقاب والخُلَع.

تجلى تقدير الخليفة القادر بالله لمحمود الغزنوي، عندما مزَّق كتاب الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله الذي تضمن استمالته إلى خلافة الفاطميين وبعث الخُلع النفيسة التي أرسلها له الخليفة الفاطمي إلى الخليفة القادر بالله مؤكدًا له بهذا التصرف إخلاصه وولاءه للخلافة العباسية.

اهتمت الخلافة العباسية بالتنظيمات الاقتصادية، فوجَّهت اهتمامها إلى تنمية موارد الثروة الزراعية، وعنيت بحفر الترع والقنوات، وإقامة السدود والقناطر.

كانت النظم المتعلقة بماء الري في شرقي فارس متشعبة، فقد جعل العباسيون لماء الري بمرو ديوانًا أطلقوا عليه اسم «ديوان الماء» كما أُقيم سد للماء في جنوبي مرو وُضِع عليه أربعمائة غواص يراعونه في ليلهم ونهارهم، أما عن المحاصيل الزراعية التي اشتهر بها العراق والمشرق؛ فهي: الحنطة، والشعير، والأرز، والذرة، والفواكه.

اشتهرت بعض مدن العراق والمشرق بكثير من الصناعات، وكانت أكبر مصانع نسيج الحرير توجد بإقليم خوزستان، وازدهرت صناعة الورق في سمرقند، أما صناعة الصابون فكان له محلة خاصة ببغداد في جانب الكرخ.

نشطت حركت التجارة في عدة مدن بالعراق والمشرق، وكان مركز التجارة الداخلية الأسواق، وقد تعددت الأسواق في بغداد وأعظم أسواقها «الكرخ» ويعتبر أهل البصرة وأهل فارس أحسن تجار الدولة الإسلامية، وكان له جاليات في جميع البلاد التي تُجلب منها التجارة، وكان التجار المسلمون من العربِ والفرس يزاولون تجارة التوابل والعاج والأحجار الكريمة وغيرها، بين بلاد المشرق وأوربا.

كما نشطت حركة الملاحة في نهري دجلة والفرات، وارتبط العراق والمشرق بمراكز للتجارة الخارجية؛ مثل: عدن، وسيراف، وعمان.

وكانت هناك طُرق برية وبحرية ونهرية تربط العراق والمشرق بمراكز التجارة في العالم الخارجي.

تركزت موارد الخلافة العباسية المالية في العراق والمشرق في الجزية والخَرَاج والمُكوس والضرائب.

كانت الجزية في عهد الخليفة القادر بالله موردًا للمال، وقد فُرضت على أهل الذِّمة من اليهود والنصارى، والمجوس، والصابئة. كذلك الخراج كان من أهم الموارد المالية، وقد ساد في عهد الخليفة القادر بالله نظامان لجباية الخراج: نظام المقاسمة، ونظام الالتزام.

كانت ضرائب المكس تُفرض على البضائع المنقولة من ناحية إلى أخرى، برًّا، ونهرًا.

وقد انشئت لجبايتها دور المكوس في أماكن مختلفة؛ وخاصةً على ضِفاف الأنهار. وهذه الأموال التي ترد من الموارد التي كانت تنفق على مصالح الدولة، كان هناك ديوانان لبيت المال؛ أحدها: **ديوان بيت المال العام**: وهو بمثابة خزانة الدولة التي يثبت في سجلاتها أصول الأموال العامة التي تحصل عليها الدولة.

أما بيت مال الخاصة: فهو خزانة الخليفة غير أن تطور الأموال المالية أدَّى إلى تعاون بيت المال العام وبيت مال الخاصة في نفقات الدولة.

ظهر في وقت سيطرة بني بويه على الخلافة العباسية ديوانان:

أحدهما: ديوان الخليفة العباسي، **والثاني**: ديوان الأمير البويهي، وكان ديوان الخليفة العباسي يتولى رئاسته كاتب الخليفة العباسي الذي اقتصرت أعماله على إدارة إقطاعات الخليفة، والإشراف على ما يرد إلى بيت المال من الأموال.

أما ديوان الأمير البويهي فقد تقلَّد رئاسته كاتب الأمير، ولما صار الوزراء يُعيَّنون من قِبَل البويهيين أصبح وزير الأمر البويهي يتقلد رئاسة الديوان.

تعددت عناصر السكان في عصر الخليفة القادر بالله، فإلى جانب العرب عاش الترك والفرس والروم والديلم.

وكما عاش في المجتمع العباسي أهل الذمة من اليهود والنصارى، والمجوس والصابئة.

لم يكون هناك اهتمام ملحوظ من جانب الخليفة القادر بالله بمجالس الغناء والطرب؛ لشدة تدينه وورعه، واستمرت في عهده مجالس القصاص والوُعَّاظ، ولما انحرفت هذه المجالس عن مهمتها الأساسية ناهضها الخليفة القادر بالله.

عَمَد الخليفة القادر بالله بعد أن اشتدت الفتنة المذهبية في عهده إلى إصدار مراسيم تحدد مجال القول عند الوعظ وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وقد أُذيعت هذه المراسيم على جمعٍ من الفقهاء والوعاظ والزُّهاد والقضاة والأشراف في دار الخلافة.

تجلت النهضة الثقافية في عهد الخليفة القادر بالله في عدة مدن بالعراق والمشرق، وتعدُّ البصرة والكوفة وبغداد من أهم مراكز الثقافة الإسلامية بالعراق ويوجد في مدينة بغداد مركز ثقافي هام يُطلق عليه «دار العلم» أسسه الوزير البويهي أبو نصر

سابور بن أدرشير سنة ٣٨١هـ، وحمل إليه كتب العلم من كل فن، وكان يوجد به أكثر من عشرة آلاف مجلد.

كانت أصبهان والري من أهم المراكز الثقافية في فارس في العهد البويهي، حيث كان بلاد بني بويه هناك كعبة يؤمها العلماء ورجال الأدب.

ومن مراكز الثقافة الإسلامية «بُخارى» التي اتَّخذها السامانيون حاضرة لهم وقد جذبت هذه المدينة كثيرًا من الشعراء والأدباء. وكان في غزنة حركة عملية واسعة شجَّعها محمو الغزنوي وابنه مسعود الذي سار على نهجه.

مليء عهد الخليفة القادر بالله بكثير من الفلاسفة والفقهاء والعلماء؛ منهم: مسكويه: وهو أبو علي أحمد بن محمد، والفيلسوف أبو علي بن زرعة الذي برز في المنطق والفلسفة، والقاضي أبو الحسن علي بن سعيد الاصطخري وهو شيخ من شيوخ المعتزلة، وله تصانيف في الردِّ على الباطنية صنَّفها تلبيةً للقادر بالله.

ومن العلماء البارزين أيضًا: الخوارزمي وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب عاش بنيسابور في بلاط السامانيين، وكان بلاد محمود الغزنوي محط لمشاهير العلماء والأدباء نبغ في أيامه بديع الزمان الهمذاني والبيروني والفردوسي.

فلهذا نقدِّم للمكتبة العربية كتابًا جديدًا عن عصر الخليفة القادر بالله معتمدين على أمهات المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية.

والله خير معين

نيفين رجب

القاهرة في ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م

تمهيد:

الحالة السياسية في العراق قبل تقلد الخليفة العباسي القادر بالله

من الثابت تاريخيًّا أن الأتراك كانوا ينفردون بالسلطة والنفوذ في بغداد في مطلع أول القرن الرابع الهجري، فقد بايع أمير الأمراء التركي[١] توزون أبا القاسم عبد الله المكتفي بالله سنة ٣٣٣هـ[٢]، ولُقِّب بالمستكفي بالله[٣] بعد أن قبض على المتقي لله[٤].

---

(١) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٤٤.

(٢) هو من خلفاء الدولة العباسية كان مقيمًا بالرقة وجاءه نعي أبيه المعتضد سنة ٢٨٩هـ، فبُويع بها انتقل إلى بغداد، فقام بشئون الملك قيامًا حسنًا وظفر في أكثر ما كان من الوقائع بينه وبين الثائرين عليه: قال ابن دحية: انفق الأموال العظيمة في حروب القرامطة الخارجين على الحجيج حتى أبادهم واستأصلهم، وفي أيامه فتحت أنطاكية وكان الروم قد استولوا عليها، وتُوفي شابًّا ببغداد، مات سنة ٢٩٥هـ.

(٣) بويع له بالخلافة عند خلق المقتفي لله سنة ٣٣٣هـ، ولقب نفسه «إمام الحق» فكان يخصب له بلقبين «إمام الحق المستكفي بالله» ولم تطل مدته غير سنة وأربعة أشهر، وكان ضعيفًا، دخل آل بويه بغداد في أيامه، واستولى معز الدولة بن بويه على الأمور وكان واليًا على الأهواز في أيام المتقي وضربت على النقود ألقاب ثلاثة منهم وكناهم، وهم: معز الدولة، وعماد الدولة، وركن الدولة، أبناء بني بويه، وبعث إليه معز الدولة اثنين من الديلم جذباه عن سريره وجعلا عمامته في رقبته وقاداه على منزل معز الدولة حيث سمل وعمي وسجن إلى أن مات سنة ٣٣٨هـ وكان خلعه سنة ٣٣٣هـ.

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل، كان كثير الصوم والتعبد لم يشرب نبيذًا قطُّ وكان يقول: لا أريد نديمًا غير المصحف ولم يكن له سوى =

ولما مات توزون تقلد محله في إمرة الأمرة الإمراء أبو جعفر بن شيرزاد[١] الذي طلب من الخليفة المستكفي أن يحلف له ويقلده إمرة الأمر فاستجاب له[٢].

ولما وصلت أخبار تحرك أحمد بن بويه[٣] لدخول العراق والذي كان يقيم في الأهواز؛ خاصةً بعد أن وصلت إليه وجود فتن واضطرب للأتراك والديلم في بغداد. وفي الحقيقة كانت بعداد تسودها أزمات اقتصادية حادة وشديدة، فوقعت بسبب سوء وجهل ابن شيرزاد بعض التصرفات؛ مثل: زيادة في أرزاق ورواتب الجند عندما ولي إمرة الأمراء، وفرض ضرائب باهظة على بعض الفئات؛ مثل: التجار والكُتَّاب والعمال؛ لكي يُرضي رواتب الجند، كذلك ظهر في عصره: الظلم وكثر النهب والسلب عن طريق اللصوص وقطع الطرق[٤].

فلما حضر أحمد بن بويه إلى بغداد في جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ رأى المستكفي أنه من الأفضل والأقوى له أن يرحب به ليفك قبضة سيطرة الأتراك، فخلع عليه ومنحه لقب معز الدولة، كما منح أخاه علي بن بويه عماد الدولة[٥].

= الاسم والتدبير لأبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي كاتب بحكم وفي ولايته سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصور وكانت «تاج مدينة بغداد» ومآثره بني العباس وهي من بناء المنصور.

(١) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ١/ ٤٢-٤١٤.

(٢) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/ ٤١٩.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق ذكره ٣/ ٤١٩.

(٤) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص٢٥٦.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق ٣/ ٤٢١.

وأخاه الثالث الحسن بن بويه ركن الدولة[١]. وأمر بأن تُضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم[٢]، ولما استقر أحمد بن بويه بغداد، طلب الجند أرزاقهم على عادتهم، فضمنها لهم وأقطع قواده وأصحابه جميع القرى التي بجانب دار السلطان[٣].

لم تقتصر سياسة معز الدولة على إضعاف سُلطة الخليفة المستكفي في بغداد؛ بل عمل أيضًا على إقرار نفوذه في بلاد الدولة العباسية فحارب الحمدانيين سنة ٣٣٤هـ، انتهت معاركه معهم بإخضاعهم وفرض إتاوة عليهم[٤]، كما حارب البريديين وتمكن في النهاية أن يستولي على البصرة، وبعث من هناك من يتهدد القرامطة الذين هرب إليهم أبو القاسم بن البريدي[٥].

استمر البويهيون ينفردون بالسلطة في العراق قرابة قرن دون أن ينازعهم فيه منازع[٦]، فلم يبقَ آنذاك للخليفة من الأمر شيء سِوى كاتب اقتصر عمله على النظر في إقطاعات ونفقات دار الخليفة، في حين كان تعيين الوزير من اختصاص معز الدولة[٧].

ولما بلغ معز الدولة أن المستكفي يسعى في إقامة غيره ويستعين عليه

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٩.
(٢) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص٢٥٦.
(٣) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/ ٤٢١.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٢٠.
(٥) الصولي: أخبار الراضي والمتقي لله ص٢٣٣، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٢٠.
(٦) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص٢٦٦.
(٧) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/ ٤٢٠.

بالحمدانيين[١]، ركب ذات يوم إلى دار الخلافة وسَلَّم على المستكفي وقبَّل الأرض بين يديه، وأمر المستكفي أن يطرح كرسي ليجلس عليه معز الدولة، ثم تقدَّم إلى المستكفي رجلان من الديلم، فمدا أيديهما نحوه فظنَّ المستكفي أنهما يريدان تقبيل يده، فمدَّ يده، فجذباها ونَكَّسَاه من السرير ووضعا عمامته في عنقه وسحباه، ونهض معز الدولة، وضربت البوقات والطبول واختلط الناس وحمل المستكفي إلى دار معز الدولة، فاعتقل بها بعد أن خلع الخلافة، ونهبت داره وسملت عيناه[٢].

بُويع المطيع لله أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر بالخلافة بعد عزل المستكفي في ٧ شعبان سنة ٣٣٤هـ[٣]، ولما اجتمع لمعز الدولة أمر بغداد سنة ٣٣٥هـ، زاد في التوثق من أمير المؤمنين المطيع لله، فاستخلفه ألا يتغيب عنه ولا يغيه سوءًا ولا يمالي له عدوًّا[٤].

وفي عند الخليفة المطيع لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير، وإنما كان له كاتب يشرف على إقطاعه، أما سائر أمور الدولة فيرجع فيها إلى معز الدولة[٥].

ومن الأحداث السياسية الهامة في عهد المطيع ثورة العيارين[٦] ببغداد عام

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٩-١٠.

(٢) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص٢٥٨.

(٣) المسعودي: مروج الذهب ٤/ ٣٧٢.

(٤) مسكويه: تجارب الأمم ٢/ ١٠٥.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢١١.

(٦) هناك جماعة من العامة أطلق عليهم العيارون والشُّطار تميزت حركاتهم بالطابع الثوري وبخاصة ضد السلطة الحاكمة وأصحاب الأموال، وكانت تضم بين صفوفها مختلف =

٣٦١هـ، حيث أخذوا ينهبون أموال الناس، فأرسل الأمير البويهي عز الدولة[١] بختيار إلى الخليفة المطيع يطلب منه مالًا لمحاربة العيارين، فردَّ عليه الخليفة قائلًا: «لو كان الخراج يجبى إلي لدفعت منه ما يحتاج إليه المسلمون، ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين إليها ضرورة. وأما أنا فليس عندي شيء أرسله إليك».

وتتبادل الرسل بينهما، وأغلظ عز الدولة بختيار للخليفة في الكلام، وتهدده وتحير الخليفة من أين يحضر له المال، فباع بعض ثيابه، وبعض أثاث بيته، وحصَّل له أربعمائة ألف درهم أنفقها بختيار على مصالحه الخاصة، فاستاء الناس مما فعله ابن بويه[٢].

كذلك حدث صراع بين الأتراك والديلم في خلافة المطيع، عندما قوي شأن سبكتكين[٣] القائد التركي، وتَمَكَّن من نهب دار عز الدولة بختيار أثناء غيابه في الأهواز، كما ظهرت قوة الأتراك عندما أرغم سبكتكين الخليفة المطيع على النزول عن الخلافة، عندما أصيب بمرض عاقه عن العمل، وولى مكانه ابنه الطائع سنة ٣٦٣هـ بعد أن حكم المطيع مدة ست وعشرين سنة ونصف[٤].

ركب الطائع بعد توليته الخلافة وبين يده القائد التركي سبكتكين، فخلع عليه خلع السلطنة وعقد له اللواء ولقبه «نصر الدولة» ثم حدث بين عز الدولة

= الأجناس والطوائف، فضلًا عن أرباب الحِرَف المختلفة وكان لهذه الجماعة تنظيمات عسكرية ومدنية.

(١) مسكويه: تجارب الأمم ٢/ ١٠٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٧١.

(٣) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ١/ ٤٤٦.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٤/ ١٠٥.

وسبكتكين خلاف، فانحاز الأتراك على جانب سبكتكين وصار الديلم في جانب بختيار، وقامت عدة حروب بين الفريقين[١]، انتهت بانتصار سبكتكين، واستيلائه على ممتلكات بختيار ببغداد، ثم بعث إلى عز الدولة يطلب منه أن ينزل عن واسط وبغداد، مقابل أن يترك له البصرة والأهواز ويسود السلام بينهما، لكن عز الدولة لم يرضخ لطلباته، واستنجد بابن عمه عضد الدولة[٢]، وانقسم الناس إلى فريقين: الشيعة ينادون بشعار عز الدولة، وأهل السُّنَّة ينادون بشعار سبكتكين ودارت الحرب بينهما[٣].

استجاب عضد الدولة لنداء عز الدولة وقدم لنصرته سنة ٣٦٤هـ، وحقق له النصر؛ لكنه طمع في بغداد واستمال الدولة الجنود إليه، وأثارهم على عز الدولة[٤]، وحاول أن يتنزع السُلطة من ابن عمه عز الدولة، إلا أنه فشل بسبب مساندة الخليفة لعز الدولة، فلما تَمكَّن عضد الدولة من التخلص من عز الدولة عام ٣٦٧هـ. خلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة، وتوجَّه بتاج مجوهر، وطوَّقه وسوَّره وقلَّده سيفًا وعقد له لواءين بيده:

أحدهما: مُفضفض على رسم الأمراء، **والآخر**: مُذهَّب على رسم ولاة العهود، ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله، وكتب له عهدًا وقرئ بحضرته، ولم تجر العادة بذلك وإنما كان يدفع العهد إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين، فإذا أخذه قال أمير

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٠٥.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٦٦-٦٨.
(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٠٦.
(٤) السيوطي: المصدر السابق ذكره ص٤٠٦.

المؤمنين: هذا عهدي إليك فاعمل به[١].

وفي سنة ٣٦٨هـ أمر الخليفة الطائع أن تُقام الخطبة لعضد الدولة على منابر الحضرة وبأن تُضرب على بابه ببغداد الدبادب[٢] في أوقات الصلوات الثلاث: الصبح، والمغرب، والعشاء.

وهذان أمران لم يكونا من قبل، ولا أطلق لولاة العهود، إذ إن معز الدولة كان يود أن تُضرب له الدبادب بمدينة السلام وسأل في ذلك المطيع فلم يأذن له[٣]، وفي سنة ٣٧٠هـ خرج من همذان عضد الدولة[٤]، وقدم بغداد فتلقاه الطائع، ولم تجر العادة بخروج الخلفاء لتلقي أحد[٥].

ولما تُوفي عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ خلفه ابنه صمصام الدولة[٦] ولقب «شمس الملة» وخلع الخليفة الطائع عليه سبع خلع، وتوجَّه وعقد له لواءين[٧]، لكن أخاه شرف الدولة[٨] خرج عليه وقطع خطبته، فسير صمصام الدولة إليه جيشًا لحقت به الهزيمة وخرجت عن يده بلاد الموصل التي استولى عليه الأكراد، ثم سار شرف الدولة سنة ٣٧٥هـ بجيشه يريد الاستيلاء على الأهواز والعراق فاستولى على

---

(١)ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٨٦.

(٢) الدبادب جمع ديداب وهو الطبل.

(٣) مسكويه: تجارب الأمم ٢/ ٣٩٦.

(٤)ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٩٢.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٠٩.

(٦)السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٠٩.

(٧)السيوطي: المصدر السابق ص ٤٠٩.

(٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٢٧.

الأهواز والبصرة، ولما بلغ الخبر صمصام الدولة راسله في الصلح، واستقر الأمر بينهما على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ويكون صمصام الدولة نائبًا عنه بالعراق، وخطب لشرف الدولة بالعراق، وسيرت إليه الخِلَع من الطائع لله.

على أن شرف الدولة ما لبث أن عزم على قصد بغداد والاستيلاء على الحكم ولم يحلف لأخيه صمصام الدولة، فسار صمصام الدولة إليه يستعطفه، لكن شرف الدولة قبض على أخيه وسجنه، وسار إلى بغداد ودخلها في رمضان سنة ٣٧٦هـ[١]، وبقي شرف الدولة في إمارته بالعراق مدة سنتين وثمانية أشهر إلى أن توفي سنة ٣٧٩هـ، وخلَّفه أبو نصر بعهد منه فلقبه الطائع «بهاء الدولة» و «ضياء الملة»[٢].

ولما ولي بهاء الدولة الإمارة، تجددت الاضطرابات بين الترك والديلم، وأدت إلى قتال دام خمسة أيام وانضم بهاء الدولة إلى الأتراك ليهدأ الفتنة[٣]، وكان بهاء الدولة مُغرمًا بجمع الأموال، فجمع منها عن طريق المصادرات ما لم يجمعه أحد قبله من بني بويه[٤] حتى قيل: إن سبب خلع الطائع من الخلافة يرجع إلى طمع بهاء الدولة في ماله، خاصة بعد أن قلَّت عنده الأموال وكثر شغب الجند ومطالبتهم له بدفع الأرزاق، كما أن أبا الحسين بن المعلم وزير بهاء الدولة، زين له مال الطائع وأطمعه فيه[٥].

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٢٧.
(٢)السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤١٠.
(٣) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ٣/ ٢٠٢.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٣٤٩.
(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ١٤٧.

وفيما يلي ما أورده ابن الأثير عن خلعه:

«أرسل بهاء الدولة إلى الطائع وسأله الإذن في الحضور في خدمته ليجدد العهد به، فأذن له في ذلك وجلس له كما جرت العادة، فدخل بهاء الدولة ومعه جمع كثير، فلما دخل قبَّل الأرض وأجلس على كرسي فدخل بعض الديلم كأنه يريد أن يقبل يد الخليفة فجذبه، فأنزله عن سريره والخليفة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون وه ويستغيث ولا يلتفت إليه، وأقدما في دار الخليفة من الذخائر فمشوا به في الحال ونهب الناس بعضهم بعضًا».

أرسل بهاء الدولة بغد خلع الطائع خواص أصحابه إلى البطيحه[١] ليحضروا القادر بالله منها[٢].

قدم القادر بالله من البطيحة تلبيةً لدعوة بهاء الدولة الذي استدعاه ليتولى الخلافة، وسار بهاء الدولة وأعيان الناس لتلقيه بالترحاب ومن ثَمَّ أدخلوه دار الخلافة[٣]. وبقي الخليفة الطائع مسجونًا إلى أن تُوفي في ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه القادر بالله ثم حمل إلى الرصافة فدفن في تربته[٤].

أما الديلم والأتراك فقد ثاروا على بهاء الدولة، عقب توليه القادر بالله مطالبين برسم البيعة ومنعوا إقامة الخطبة باسم الخليفة في يوم الجمعة.

فقيل: «اللهمَّ أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله» لذلك عَمد بهاء الدولة إلى

---

(١)هي أرض واسعة تقع بين واسط والبصرة.

(٢) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/ ٤٣٦.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١٤٧.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١/ ٧٩.

إرضاء الجند وكبار رجال الدولة، وقرر لكل واحد منهم ثمانمائة درهم، فبايعوا جميعًا القادر بالله وأقيمت الخطبة باسم أمير المؤمنين القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر بالله في يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ٣٨١هـ[١].

(١) أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم ٣/ ٢٠٢.